

# زهر الحدائق

١٩٨٣ - ١٩٧٧



## البصرة

ملفّعةٌ بوهجِ النارِ  
طافحةٌ بفوحِ الفلِّ والنوّارِ ،  
صامدةٌ وحقّ النخلِ والوعدِ  
وحقّ أبي الخصيبِ وهيبةِ الجندِ  
وحقّ هواكٍ أكتُمُ منه أضعافَ  
الذي أُبدي  
وحقّ هواكٍ يطلُعُ منه في جسدي  
رياحيناً وأجنحةً ،  
وأسراباً من الدوريِّ والرندِ  
وأبكي مثلما تتجرّحُ الأشجارُ  
أصرخُ يا غبارَ الصيفِ ،  
يا وحلَ الشتاءِ  
وياعيونَ الفجرِ

لا أعطي العراق بجنة الخلد ..  
وحقّ الليل ،  
ليلك شامخاً بعواقبِ المجدِ  
وحقّ ربك  
تُشعلُ كلَّ ما في الأرضِ مِنْ حزنٍ ،  
ومن وجدِ  
وحقّ رجالك الزرعوا الحدودَ مشاعلاً ،  
ورجالك الآتينَ ينتشلونَ  
وجهَ القدسِ ،  
مَنْ غيرَ العراقِ يضمُّ وجهَ القدسِ  
يا أماً ويا أملاً ويا غُرةً ..  
لعينك شمعةٌ نذرا  
وزنارٌ لخصركِ أحمرٌ يضرى  
أيا خمرةَ الوجناتِ يا بصره  
ويا عربيةَ اللفتاتِ والغمزاتِ ..  
راياتُ على الغاباتِ ،  
تلثمُ سَعفَها سكرى

ويوقظني الهوى ،  
جرحانِ :  
هجركَ والوصالُ  
وسكرةً أخرى ،  
تداوي الشوقَ .  
مطفأةً عيونُ الليلِ في خُطواتِ هذي  
الصولةِ الكبرى  
أيا خمريّةَ الوجناتِ يا بصرّةً . . .

## بيروت

أسافرُ مثلَ الضياءِ إلى حيثُ تستأنسُ الضوءَ  
وقتَ الصباحِ  
ووقتَ انسيابِ المشاغلِ من كوةِ البدءِ ..  
أسكنُ فنجانَ قهوتِكَ الحُلوةِ ،  
المرّةِ ، المستطابَةِ بعدَ التعبِ  
واشربُ منها ،  
أشغلُ عينيكَ ،  
تضربُ كفيّ وتصرخُ بي ،  
أترجعُ  
يُشرقُ فوقَ جبينِكَ عُصنُ الغضبِ .  
وآتيكَ في الظُّهرِ ،  
أتيكَ ، يُسندُ صدريَ رأسَكَ  
ينزعُ عنه المشاغلَ ،

عطرُكَ نَفْحُ العِراقِ المِخضَبِ بالحِزنِ  
والفرحِ المُستفِيقِ  
على صهوةِ الفجرِ ،  
عطرُكَ ليلُ العِراقِ المِضْمَخِ بالياسمينِ ،  
أُفتِّحُ صدركَ للضوءِ ،  
أُبصرُ وهجَ المشاعلِ تأخذُ رُوحِي إليها ،  
وتُلقِي بها في مهاوي الحرائقِ ،  
تُلقِيكَ في نبعِ قلبِ امرأةٍ ..  
تَشتهيكَ على حافةِ الموتِ بينَ الصِحرى  
وبينِ انعتاقِ الخيولِ ،  
تجِيءُ القطاراتُ من وشوشاتِ المحيطِ ،  
ومن نزواتِ الخِليجِ  
ومن لاعجاتِ امرأةٍ ..  
تعانقُ وجهَكَ عبْرَ الخاضِ ،  
وفي حُرقةِ الطلقةِ المدلهمةِ  
تُشرقُ فيكَ حمامةِ ضوءٍ  
يخضِبُّها الوجدُ ،

تلك مُنى العُمَرِ ،  
ما بينَ بيتي وبيتكَ يمتدُّ سورٌ من الأَمَنِ  
تُفصِّيه عَنِّي حبالُكَ ،  
والمشتهى وجهُكَ ،  
المنتهى وجهُكَ  
المبتدى ...  
إنني الآنَ ما بينَ نارينِ ،  
بين اللظى والندى  
وما بين حُبِّي وهجرِكَ نهرٌ وصَبِيرَةٌ  
والعصافيرُ حيرى ،  
وكلُّ النوارسِ مذبوحَةٌ  
مَنْ تُرى يَطْلُعُ الآنَ مِنْ جلدِهِ كي يُعرِّشَ لبلايةً  
من جحيمِ المحيطِ لنارِ الخليجِ ،  
ومن قُبَّةِ القدسِ حتَّى قبورِ أُمِّيَّةَ ،  
بيروتُ تنشرُ وجهي على حافةِ الجُرْفِ ،  
تنشرُ مَوَالَ حَبِّي على كتفِ دَبَابَةِ غازيةٍ ..  
وبيروتُ تستلبُ البحرَ زرقَتَهُ



وتنامُ على الشطِّ مذبوحَةً عاريةً . . .  
ووسطَ العواذلِ ،  
وسطَ التحامِ العيونِ تُناديكِ :  
خُذْها من الوجعِ القاتلِ ،  
الوجعِ الدافئِ ،  
الوجعِ المرِّ .  
بيروتُ تحتلُّها لهفةٌ للرجوعِ لخيمةِ قلبك  
طفلتكِ الآنَ تكبُّرُ ،  
تحبو ،  
وتقفزُ  
في مقلتيها يُضبيءُ العذابُ الذي  
يجرحُ الجُدْرَ المستكينةَ  
بغدادُ مفروشةٌ باللظى ،  
وبالشيخِ مزروعةُ  
أنتَ تدركُ سرَّ الغواصي الروائحِ ما بينَ قلبي  
وقلبك ،  
تدركُ أنَّ عذابكِ عَذْبُ

وأنتَ تحضُرُ في جَلَسَاتِ الهدوءِ ،  
على الشايِ عصراً  
وفيروزُ تهمسُ  
«وسعَ السماءِ أُحبُّكَ ، كبرَ البحرُ»  
وفي الشارعِ الأفقيِّ أجوبهُ ليلاً وأنتَ معي  
وحديثٌ يُتمتمُ بيني وبينك عن خطرِ العنفِ ،  
عن بهجةِ الحبِّ ،  
عن ليلةٍ لنُ تجيءَ ،  
وعن فارسٍ يسكنُ القلبَ ،  
يختصرُ الوطنَ العربيَّ ،  
وتبسّمُ ،  
أبسّمُ . .  
تذبلُ كفي بكفك ،  
قلبي حزينُ  
يخافُك قلبي ،  
يخافُ بَعَادَكَ  
أنتَ تُحسُّ هواجسَ روحي ، تشدُّ يدي

طعنةً عبّرَ صدريَ تعبُّرُ ،  
دمعٌ يجفُّ ..  
وكلَّ مساءً أجيئُكَ في طرفٍ من حديقَتنا ،  
خُلُسهً وأخبي عينيكَ ،  
لا يجفلُ الورْدُ ،  
لا تستريبُ ،  
وتحضنُ زندي ،  
تُدركُ طعمَ النسيمِ بكفِّ امرأةٍ ..  
إذا عاودتكَ انتشت ليلةً  
وزهتُ نجمةً  
واستفاقَ الأسي مرةً ثانيةً . . .

## قصائد عن الحب والحرب

- ١ -

أسرى على الباب العتيقِ قصائدي وقلائدي ،  
وسوار أحلامي وغابة ذكرياتي ،  
ومسيجُ بالنار درب هواك ،  
يسقطُ عبره الغادونَ ،  
من أين الخلاصُ ،  
سريةً فسريةً عبروا وجازوا أمنياتي ،  
كيف الخلاصُ ..  
وأنتَ نورسُ شاطئِ يدنو  
وينأى ..

يستغيثُ من اضطرابِ البحرِ ،  
من وجع الحقيقةِ صارخاً في أغنياتي  
خذني أفتقُ في جذورِ هواك وردَ العُميرِ

أعدو في روابيك البهيّة ،  
شُلّة الغزلان تَرْتَعُ في مداها ،  
والوعولُ تخطُّ فيها مربعَ الأحلامِ  
خذني من بوادي الليلِ ،  
أشعلُ شمعتي ،  
وتخطُّ في شُرْفَاتِ قلبي وابتهجُ .  
كلُّ الذين ترَجَّلوا هاموا وطلَّتْ خيلهم  
وأتيتَ ترفلُ بالمنى  
ويصيرُ في كفيك ماءُ النهرِ ضوءاً  
مُدَّ أشرعةً إلى الظلماتِ يهوي القيدُ  
أدخلُ في رحابك أستبيحُ رضاك ،  
درعي صمتك المتلألئُ القسَماتِ  
يُخفي لوعةَ الأَمسِ الذي عادتْ بيارقُهُ  
بأيدي الجندي  
- هل عادتْ بيارقُهُ بأيدي الجندي؟  
أقتحمُ اصطبارك ،  
عدتني هذا التوحّدُ فيك

هذا الدفءُ والتوقُ الذي يفديكَ  
هذا الحزنُ ،  
هذا الحلمُ ،  
هذي اللففةُ السكرى على عينيكَ ،  
هذا أنتَ في عبقِ الحقولِ المُثقلاتِ بطلِّها  
وبما يرفُّ عليَّ من نسَمَاتِها  
وبسَعْفِها ، وبهارِها  
ومواجِ القَدَّاحِ في نيسانِها ،  
وبما تَأَلَّقَ في الصبَاحِ الغرِّ من أثوابِها  
كلُّ الجبالِ تلمُّ أذرعَها ،  
ونشوى تحتويكَ بحبِّها  
في الفجرِ أشعلتُ البيارقَ واختبأتُ بفيئِها ،  
يا منعمَ الفرحِ الطليقِ لمهجةٍ أودى بها  
فكَّ الإسارَ ، إَسَارَ رُوحِي واختبئُ بقرارِها  
في الليلِ أشرعتُ النوافذَ واعتصمتُ بسحرِها  
فنهجتُ نهجَ سجينِةٍ هربتُ بثوبِ حبيبيها  
وأُتيتُ تملؤني الأهلَّةُ والجداولُ ،

نحنُ في وادٍ من السحرِ الأثيريِّ  
انتَحِينَا ظِلَّةً :

تندى على شفتيكُ أغنيتي ،  
وتُزهَرُ فوقَ شعركُ قُبَلتي  
ويَحُطُّ عصفورٌ على شفتي  
حمامةُ حُبِّكَ النشوى تجوبُ القلبَ ،  
تسقطُ في ذراهُ صريعةَ الحمى  
كأنَّكَ ما تفيأتُ الهوى من قبلُ  
ما أشعلتَ شمعتَهُ ،  
ولا أعطيتَهُ العمرَ الذي أعطيتَ ،  
- لا . . ؟

من أينَ جئتَ ،  
تفتتُ كلُّ الشقائقِ ،  
وانتشى وردُ العرائسِ بالندى  
وتَضَمَّنَتْ غاباتُ رُوحِي بالعبيرِ  
وجئتُ في بهو الأمانِ  
أضْمُ وجهكُ طافحاً بالضوءِ

أَدْخَلُ كَوَّةَ الْعَيْنَيْنِ حَيْثُ اللَّهُ وَالشَّهْدَاءُ  
يَسْتَمَعَانِ نَجْوَى أَتْنَيْنِ فِي فَيْضِ الْهِنَاءِ :  
أَنَا . وَأَنْتُ

- ٢ -

عَنْفَوَانُ الْفَتْحِ فِي عَيْنَيْكَ ..  
وَالسَّرُّ الَّذِي لَا يَنْجِرُحُ  
وَسَمَاءٌ تَوْمِضُ عِبْرَ اللَّيْلِ حَزْنًا وَفَرْحًا ..  
وَنَشِيدًا ذَابَ فِي حَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْمَبْرُحِ  
يَا بَهِيَّ الْوَجْهِ مَنْ دَقَّ عَلَيَّ بِأَبِي وَرَاحُ ..  
وَمَنْ اسْتَنْهَضَ فِي قَلْبِي جُرْحًا ،  
وَاسْتَرَاحُ  
إِنِّي أَبْصُرُ فِي عَيْنَيْكَ لَيْلًا وَمَشَاعِلُ  
وَخِيُولًا مُسْرَجَاتِ الْعِزْمِ تَعْدُو بِالْجَلَاجِلُ  
إِنِّي أَبْصُرُ رَايَاتِ بَنِي حَمْدَانَ  
تَخْتَضُّ عَلَيَّ جِرْحَ الرِّجَالِ  
وَأَرَى سَرْبَ الْقَطَا الْمَذْبُوحِ فِي لَيْلِ الْجَزِيرَةِ ..



وعصافير الهوى المجروح حول القدس  
والجولان والدلتا الأسيرة . .  
وأنا المحُ قطعانَ المها المطعونة الأُحداقِ  
في لبنانَ ، من يجتثُ حزني ؟  
إنني أصرُخُ من هوةِ هذا المنحدِرُ  
من يُزيحُ القيدَ عن جذعِ الشجرِ . .  
من يفكُ إسارَ غزلانِ العراقِ  
يلمُ أحزانَ العراقِ ،  
يشدُّ جرحَ النخلِ في قلبِ العراقِ  
- تعالَ يا وطناً مضى  
- أنا لن أجيءَ  
تكسرتُ فيَّ النصالُ  
ضحكتُ إذ أبدلتمو رجلي عصاً . .  
زندي حديداً  
أنتمو أبدلتمو ببريقِ عينيَّ الزجاجَ ،  
ضحكتُ ، لم أبكِ ،  
الدموعُ دعيَّةً صارتُ ،

وصارَ الحرفُ قشاً  
كان يوماً ما سماءً ،  
كان لي جدرانَ أمنٍ . ودثارُ .

.....

يا أيُّها المستبسلونَ على حدودِ الليلِ ،  
هاكمُ وردةَ الضعفاءِ  
هاكمُ دمةَ الضعفاءِ  
هاكمُ كلَّ أسلابِ العناءِ  
أتيتُ لكنَّ المراصدَ أرجعتني  
أنني امرأةٌ ،

وأنَّ شريعتي خوفُ العصورِ ،  
زمانَ عدتُ كتبتُ فوقَ الماءِ أغنيةً  
وهبتُ نخلةً تبكي  
فأهديتُ الظلالَ محطةً  
واتيتُ .

كلُّ الوردِ في عينيَّ ينبضُ  
كلُّ سحرِ المجدِ

أهدتني المياه نقاءها  
وسخّت عليّ بسرّها  
وطلعتُ في ليل العذابِ جديدةً فرعاءً  
عدتُ بكفيّ السيفانِ :  
سيفُ الحلمِ والإنسانِ  
عدتُ وتسقطُ التيجانُ  
في أصداءِ خطوكِ ينتهي عصرُ الهوانِ  
ويزدهي قمرٌ جديدٌ .

- ٣ -

وأبحثُ في قصائدي القديمةِ عن رؤاكِ ،  
صداكِ عبّرَ دمي يُفتّحُ شرفةً ،  
تسري بهيكلها الغزالاتُ ،  
الخيولُ ،  
الطيورُ ،  
أقتحمُ المتاهةَ بينَ صوتكِ واغترابِ قصيدتي  
وأقولُ : منطَفِئُ سعيّرُ الليلِ

أنتَ تقولُ : هادرةٌ عيونُ الخيلِ  
قلبي يقولُ :  
ها . كفُّ الهوى الآتي  
شهيْدٌ آخرٌ ويصيرُ بابُ القدسِ اقربَ  
خطوةً أخرى ،  
كرومُ الحلمِ أدنى  
إنَّ في عينيكِ فردوسَ اليقينِ ،  
وقصةٌ توحى ولا تحكي  
وصخرةٌ حبِّي الماذلَّ في زمنٍ  
ووجهَ السيدِ المصلوبِ يبسمُ منْ جديدٍ :  
ها همو عبروا الحدودَ ،  
تهاوتِ الأسوارُ  
وجهُ الجندِ في «كيلان» يُنبئُ بالحكايةِ مرةً أخرى  
«قتيبةٌ» لا ينامُ وفي المدىِ دربٌ جديدٌ .  
إنَّه الفجرُ الذي شهدَ الهوى غضاً  
ليورقَ فيكَ ثانيةً  
وينتفضُ الوليدُ مضرجاً في الشامِ ،

يَرَكُّهُ الْمَرَابُونَ الْقُدَامَى

..

يَا غُصُونَ الشَّامِ شُدِّي جُرْحَهُ

لَمِّي مُوَاكِعَهُ

وَضُمِّي حَزْنَ جِبْهَتِهِ ،

اسْتَرِيحِي فِي مَدَاهُ

وَلَمَلِمِي قَطْعَ الْحَارِ وَأَنْشُدِيهِ :

أَزْهَرَ الْخَابُورُ .

مرحى .

- ٤ -

وَرُحْتَ تَلْمُ أَطْرَافَ الْحِكَايَةِ

تَسْتَجِيبُ مَشَارِفُ التَّارِيخِ

تَسْمَعُ هَاجِسًا يَمْتَدُّ عَبْرَ مِصَارِعِ الْأَحْزَانِ :

لَا تَعْجَبُ . كَذَبْنَا ..

نَحْنُ جَرَّحْنَا عَذَابَ الْحَبِّ حَتَّى أَنْ سَقَطْنَا

وَتَمَرَّغْنَا ،

ومرغنا البدورَ اليعرُبياتِ  
بوحلِ الزيفِ ،  
مزقنا هوى الأحابِ ،  
لَطَّخْنَاهُ فِي عَارِ الْمَذَلَّةِ ،  
كلما انتَهكتُ على سُرِّ الضنى ليلى  
تداعى أَلْفُ قيسِ كي يصدَّ الكيدَ عنها  
خُلَّبَ المرمى ..  
ابنةَ المهديِّ ...  
عاريةُ سيوفِ الجندِ حولَ حماكِ ،  
نهرٌ من دمٍ لا يُطلعُ الزهرَ الجميلَ ،  
وليس يعرفُ للمصبِّ طريقَهُ ،  
الآتونَ يَفزَعُهُمْ غبارُ العتمةِ النكراءِ  
نهرٌ من دمٍ يمتدُّ عبرَ الليلِ ،  
يشرقُ في بواديقِ الحسانِ ،  
وصيحةٌ تختضُّ  
ليلى استرحمي قلبَ الهوى المذبوحِ  
رُدِّي لهفةَ الولهانِ

نهرٌ من لظىٍ يجتاحُ صمتَ القُبُراتِ  
يقولُ :

ها .. خلُصتُ حبالُ الوجدِ  
قلبي يقولُ :

ها .. بدأتُ

وأسقطُ مرةً أخرى

العذابُ الحلوُ يزهرُ في شبابيكِ العذارى  
الفاتراتِ الطرْفِ .

صوتُ ابنِ الملوِّحِ يستعيدُ مكارمَ التاريخِ في دمي  
المضرِّجِ أوجهَ الربواتِ ...

ملعونُ عذابِ الشوقِ ،

في أعماقِ روحي زهرةٌ حمراءُ

قالتُ كي تبوحَ بحبِّها :

«ضحكُ البنفسجِ واستفراقُ»

وكنتُ تسكنُ غيمةً نشوى

ومنها استسلمتُ عيناكُ ،

واسترختُ روابي الوردِ .

مشرعةٌ حقولُ هواكَ  
مترعةٌ عيونُ هوايَ  
والجنْدُ الذينَ تسربلوا بالدمِ عادوا  
كي يباهوا حَبْنًا .  
ويُطلَّ وجهُكَ من جديدٍ .



## هواجس أخرى

سلامٌ قالَ ليُلكَ .  
كوّةُ خُضراءُ قالتُ :  
مرحباً بالعايرينَ ،  
وأشرعتُ كلَّ الدروبِ  
لمُحتُ وجهكَ عبرَ غاباتِ الدمِ ،  
الأقمارِ  
يخطفُ كفيَ اليمنى  
ويزرعُ بهجةً في القلبِ .  
خُضراً كانتِ الساحاتُ  
تهزجُ في روابي الليلِ ،  
تفتحُ للصباحِ نوافذاً علقتُ عليها الروحُ  
في كلِّ الزوايا منك شيءٌ يستريبُ ،  
وأخرُ يجلو ،  
فماذا كنتَ تزرعُ في بهاءِ الليلِ

خَلَّفَتَ الشَّوْاطِيَّ بِالْنَدَى تَهْتِثُ ،  
أَيْقَظَتِ الْبِنْفَسَجَ ،  
وَاسْتَفَاقَتْ ظَبِيَّةً فِي الْحَيِّ قَالُوا :  
صَيْدُهَا حَرْمٌ ،  
وَمِنْ دَمِهَا عَلَى كَفِّكَ حِنَاءٌ  
تُبَارِكُ سِرَّ ذَاكَ الْقَوْسِ ،  
لَا تَزْرَعُ غِبَارَكَ فِي دَمِي  
يَا أَيُّهَا الْوَلَدُ الْمَعْنَى . .  
فِي ذُرَى الشَّطِينِ يَا فَا تَسْتَفِيقُ ،  
وَتَنْشُرُ الثَّوْبَ الْمَزْرَكَشَ ،  
يَسْتَظِلُّ بِهِ الْمَحِيظُ ،  
وَيَسْتَرِيحُ النَّخْلُ فِي وَاحَاتِهِ  
يَا أَيُّهَا الْوَلَدُ الْمَدْمَى  
مُدَّ لِي كَفِّكَ يَسْرِي مِنْ جَوَى نَهْرَانِ ،  
تَنْفَتِحُ الْحَصُونُ  
وَيُصْبِحُ الْوَطَنُ الَّذِي يَمْتَدُّ عِبْرَ مَصَارِعِ الْفُرْسَانِ  
وَاحِدًا .

مُدَّ لي كفيكَ ،  
أقطفُ وردةَ اليمنى  
وأكتبُ غنوةَ خضراءَ فوقَ الراحةِ اليسرى  
وأعطي حُرقتي للريحِ  
قلتَ . وعيتُ سرَّ الرحلةِ الأولى  
الدروبُ تلفُ ساعدها على حديثينِ  
ما عرفا عذاباً أو ظماً . .  
أقسمتُ :

لا عبَرَ الهوى بكَ ضفةً أخرى  
ولا أسلمتُ .  
كان الفجرُ مسكوناً بلوعةِ هاجسٍ يغتالُ  
جذرَ الليلِ ،  
من وَجدٍ تفصَّدتِ الغصونُ ،  
إليكِ شمساً لا تغيمُ ،  
وقمةً إذ تُشتهي تُفدى  
وصحراءُ على أذيالها الغزلانُ ضارعةٌ  
قلائدُ حبِّها جمرٌ ،

وتعشقُ  
لا تساومُ .  
يا هوى الفرسانِ ،  
عاشقةً أتيتُ ،  
وعندما غادرتُ كنتُ شهيدةَ الشهداءِ  
إذ أسلمتُ للظوفانِ كفيّ كان وجهكُ  
يستريحُ على ذرى الأحزانِ ،  
إذ أصغيتُ للريحِ التي تلوي يديّ ،  
سمعتُ هاجسَ نخلةٍ صلّتْ بقربي  
واسترقتُ شجونَ أغصانِ المساءِ  
وكنتُ تُمطرني بأقواسِ الضياءِ  
وكنتُ أغفو في الظلالِ  
أقلّبُ الجرحَ العتيقَ  
يُفيقُ . ؟  
قالتُ وردةٌ :  
ومتى استراخُ !

\*

متوحدين .  
وغيمة خضراء توقظ هذه الصحراء  
تطلع في روابي الروح سرواً يستظل  
بأمنه الركبان  
هذا الحزن يودع في زوايا القلب  
منك عرائشاً نشوى  
أنا استنهضتهم حراسنا صرعى  
فمرحى .  
كل أسلاب القبيلة ملك كفيينا  
ومرحى  
هذه النار التي تجتاح عمرينا  
تضيء الليل ،  
كل الليل ،  
خذ أشجاناً روحي ،  
هات كفاً نعبر الدنيا  
ففي قضبان هذي السكر الكبرى  
سيولد فجر كالممتد ،  
يولد كرة أخرى

## المرأة

بعيداً هو الدربُ ما بين مكةَ والقدسِ  
خلفَ النخيلِ  
تدلِّي السماءُ وجوهَ العذارى الشهيداتِ ،  
خلفَ النخيلِ وفي ليلةِ الوعدِ  
جئتِ تجوسينَ هذا الخرابَ  
نساءُ الجزيرةِ يغرقنَ في لججِ الرملِ  
يذبلنَ في هامشِ الليلِ ،  
إني رأيتُ وجوهَ النساءِ كُراتٍ جنوبيَّ لبنانَ  
إني عبرتُ جسورَ العذابِ  
فلمَ أرَ فيما ترى العينُ زهرةً  
ولمَ أبصرَ امرأةَ العصرِ تُشعلُ شمعةً ..  
وجئتِ .  
تضمينَ وجهَ السماءِ وتطلُّعِكِ الأرضِ ريحانةً

إِنَّ صرْحَ العذابِ تهاوى بصرْحَتِكَ البكرِ  
إِنَّ نوافذَ فجرِكَ تختصُّ بالشوقِ  
أه .

وفي ليلِكَ الظامئِ الوجدِ  
كنتُ أفجرُ لُغمَ العبيدِ  
ويصرُخُ قلبُكَ . لا . لا .

أهزُّ الجريمةَ ،  
أوقظُ جثَّتَها اليومَ  
أينَ العيونُ ، تراكِ كما أنتِ ،  
أينَ العيونُ ؟  
تثورينَ .

ينفتحُ العصرُ بغتةً . .  
ويطلُّ وجهُكَ في قَمَّةِ العصرِ بغتةً . .  
تمدِّينَ ساعدَكَ العُصنَ  
أبصرُ هذي الأصابعَ تُسقطُ ورداً  
وترنينَ .

أبصرُ هذي العيونَ تنثُ المحارَ

تعالِي .  
على السور ليلكةً بابليةً  
وليلكةً مغربيةً ..  
تُسائلُ عينيكِ عن يومٍ تأتينَ  
- أخبرتِ الليلَ -  
تُشرقُ أعراسُ حيفا  
وتحضرُ سينا  
ويطلعُ بدرٌ من الشرقِ  
يقذفُ هذي الروابي بزهرةً ..  
فيشعلُ كلَّ الغصونِ  
تعالِي .. تعالِي .  
أصيلَ عرجتُ إليكِ  
تناثرَ تفاحُ عكَّةَ  
ينزفُ كان الشجرُ  
وكانتُ جداولُ عينيكِ تُطلعُ فُلاً  
وتنشرُ هذي الصحارى سماواتِ زهوٍ ،  
تُظِلُّ غداً الحلمَ ،



قلتُ :  
تعالِي ،  
تكونينَ لائحةَ العَصْرِ  
شامتَهُ اليَوْمِ  
إنَّ غزالاتِ نَجْدٍ تكحَّلْنَ بالحزَنِ  
إنَّ بدورَ الشَّامِ تعطَّرْنَ بالحُلْمِ  
إنَّ قناديلَ بَغدَادٍ تختضُّ بالفرحِ الطِفْلِ  
جذُرُ لها في عيونِ الشِّمالِ  
وقلبٌ يُفجِّرُ عُمَرَ اللَّياليِ  
تعالِي ..  
تعالِي ..

## عن الأرض والأشياء الأخرى

لأنَّكِ انتهيتِ حيثُ تبدأُ الأشياءُ  
يا قمرًا يورِدُ السماءُ  
مُرِّي على الحمائمِ الشريدةِ ..  
ولوَّني الغُصونَ بالعطاءِ ..

\*

كلُّ بكاءِ الأرضِ  
لا يُطفئُ الوجدَ الذي في القلبِ  
كلُّ عذابِ الأرضِ ..  
لا يزنُ الحزنَ الذي في القلبِ ..  
كأنَّ حبَّكَ اشتعالُ  
كأنَّ حبَّكَ انطفاءُ  
كأنَّ حبَّكَ الفردوسُ إذ تُعانقُ الصحراءُ

كَأَنَّ هَذَا اللَّيْلَ إِذْ يَجِيءُ بِالْعَبِيرِ مِنْ غُصْنَيْنِ  
فِي عَيْنِكَ يَلْهَثَانِ ،  
مِنْ طَيْرَيْنِ فِي دَوْحِكَ يَهْزُجَانِ  
قَنَدِيلِي إِلَى السَّمَاءِ .

✱

وَأَنْتِ يَا أَمِيرَةَ النَّسَاءِ ،  
إِذْ اسْتَلْتُ مِنْ عَيْنِكَ خَيْطَ الْحَزَنِ ،  
إِذْ أَضْيَعُ فِي مَتَاهَةِ الْعَطُورِ ،  
فِي خِضْمٍ لَيْلِكَ الْمَكْتَنُظَّ بِالسُّمَّارِ ،  
إِذْ يَصِيرُ لِي جُنْحَانِ أَخْضِرَانِ  
أَعْبُرُ الْوَهَادَ ،  
وَالسُّوْحَ الْمَدْمَمَةَ إِلَى السَّمَاءِ ،  
كَانَ اللَّهُ يَأْمُرُ الْحِرَاسَ أَنْ يُشْرَعُوا  
الْأَبْوَابَ ،  
أَنْ يَكْسِرُوا الْحُدُودَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَرْشِ ،  
أَنْ يُسَلِّمُوا الرِّيَاطَ .  
وَأَنْتِ يَا أَمِيرَةَ النَّسَاءِ ،

إذ تتسعُ الهمومُ في دائرةِ الأشياءِ  
تُصبحينَ غيمةً ،  
فأدخلُ الكهوفَ ،  
تُمطرينَ .  
أدخلُ الكهوفَ أحتمي من العذابِ  
إذ يُذيبُني العذابُ ،  
إذ يدورُ بي .  
يرفعُني .  
يمزقُ الشراعَ ما بيني وبينَ السرِّ  
أقبضُ المفتاحَ ،  
يهوي القلبُ في مجاهلِ الحريقِ  
أستفيقُ ،  
يَستفيقُ وجهُكِ الأميرِ . . . !  
.....  
أحسُّ أنَّ اللهَ يهجرُ السماءَ ،  
حينما تأخذُكِ الأشياءُ  
إذ تبعُدُني الأشياءُ ،

إذ تضيقُ هذي الأرضُ ،  
حتى أغدو السجينةَ الوحيدةَ . !

\*

وكأنَّ كلَّ الأُمسِ ماءٌ مرَّ ما بينَ الأصابعِ ،  
كنتِ أنتِ الماءَ ،  
كنتِ النارَ ،  
كنتِ الحلمَ يكبُرُ في جذورِ الشمسِ ،  
كنتِ حبيبتِي انطفأتْ عيونُ الريحِ ،  
إذ طلعتْ يداكِ بزُحمةِ الأشياءِ غُصناً  
حطَّ فيه القلبُ عُصفوراً  
وغابُ .

في الليلِ تشتعلُ المواويلُ الحزينةُ ،  
والقرى وجلى ،  
على الشرفاتِ تفتحُ كوةً ليُطلَّ وجهُكَ طائراً  
يغتالُ روحي ،  
منَ يُظلُّ جراحها الدامي ،  
يُنيمُ طيورَها الجوعى ،

وَيُسْكِنُ رَوْعَهَا ،  
تَتْرَبِعِينَ بَغْصِنِ قَلْبِي وَرَدَّةً بَيْضَاءَ ،  
أَصْفَى مِنْ ضَمِيرِ الْمَاءِ ،  
أَجْمَلَ مِنْ عَذَابِ هَوَايَ .  
أَشْهَى .  
يَا وَرْدَةَ الْبَسْتَانِ يَغْتَالُ النَّدَى حَبِّي  
وَأُصْرَعُ بِالنَّدَى ،  
وَهَوَاكِ أَنْدَى  
قَلْبِي بِقَارَعَةِ الطَّرِيقِ ،  
مُجْرَّحُ قَلْبِي ،  
وَكُفُّكَ خَيْمَةً ،  
وَالْحَزْنَ صَارِيَةً  
وَهَذَا اللَّيْلُ مَجْزَرَةٌ  
وَأَنْتِ مَرَرْتِ بِالْوَاهَاتِ فَاشْتَعَلَ الصَّنُوبَرُ  
يَا رِيَّاحِ الْأَمْسِ فِي صَدْرِي ،  
خُذِيهِ ،  
وَفَجَّرِي حَزْمَ الْعَذَابِ ،

خُذِي العذابَ ،  
وهاتِ وجهَ الشمسِ ،  
أزرعُهُ بقلبِ الأرضِ ،  
قلبي .

## زهر الحدائق

صباحاتُ الندى والحبِّ يا ملكَ الزمانِ ،  
على الغصونِ تألَّقَ الرمانُ ،  
في عينيكِ مملكةٌ تُضيءُ ،  
وواحةٌ جذلي  
وندمانٌ يناجونَ الإلهَ . . .  
كؤوسُهُم بالخمرِ مُترعةٌ  
وخمرٌ في مآقيهم  
ولا قمرٌ يمرُّ ،  
ووجدُهُم جمرٌ ،  
ولا قمرٌ يمرُّ  
على الأرائكِ صبيةٌ يتصوِّرونَ بلوعةِ الأشواقِ ،  
من يُعطيهمُ خيطَ الأمانِ ،  
لتخمدَ النيرانُ



سُكراً أَيُّها الأُحبابُ  
وجهي غائمٌ  
وحبيبٌ قلبي يستبِحُ الروحَ ،  
يَعْبَثُ بالربِّي  
فلتَشربوا .  
هذا حبيبي يستحمُّ بضوءِ دجلةَ ،  
وجهه نَبَعٌ ،  
ووردُ صدره  
وثيابه الخَزُّ العراقيُّ المكابِرُ ،  
صوتهُ في الفجرِ أعطاني اليقينَ ،  
فأمسكتُ كفايَ بالأبوابِ تُشرعُها ،  
وينسابُ العذابُ .  
- «صبيَّةٌ بالدمعِ تغسلُ جبهتي  
بالشوقِ تزرعُ وجنتي  
تنسابُ أجنحةُ الهوى  
ويغيبُ شباكي  
ويهمي الطلُّ .» .

سُكْرًا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ :  
مَنْ فِي الْبَعْدِ أَحْرَقَهَا بِنَارِ الْوَجْدِ  
مَرَّغَ لَيْلَهَا بِالسُّهْدِ  
جَرَّحَ قَلْبَهَا بِالصَّدِّ . .  
يَنْكُرُ اسْمَ الْفَتِيَانِ لَوْعَتِهَا  
وَتَبْكِي زَهْرَةَ الرِّمَانِ ،  
تَذْبُلُ وَجَنَةَ الشَّهْدِ الْمَنْدِيِّ  
يَا صَبَاحَ الْخَيْرِ يَا زَهْرَ الْخَدَائِقِ ،  
إِنَّهُ زَيْنُ الرِّجَالِ  
أَكَلَّمَا نَفَرْتُ حَمَامَاتُ الضَّحَى شَهَقَ الْبِنْفَسُجُ ،  
وَاسْتَفَزَّ مَوَاجِعَ الْعِشَاقِ ،  
تَبْكِي طِفْلَةَ صَدِّي ،  
وَابْكِي وَصَلَّهَا  
وَأَنَا وَإِيَّاهَا الْبَدَى وَالنَّارُ ،  
لَا تَخْبُو الْخَرَائِقُ أَيُّهَا الْأَصْحَابُ :  
إِنَّ الْفَجْرَ مَذْبُوحٌ بِعَيْنَيْهَا ،  
وَفَوْقَ جَبِينِهَا الصَّوْتُ الْعِرَاقِيُّ اسْتَفَاقَ ،

وغالَ غائلةَ الدجى ،  
واخضرتِ الربواتُ ..  
من .. ؟  
مَنْ يأخذُ الشهداءَ من مُقلِ العذراى  
أه .. من يستلُّ وجهكَ مِنْ حنايا الروحِ  
تحتَ عرائشِ الكرمِ المُحايدِ تسقطُ النجماتُ  
في ذيلي ..  
«ويا كلَّ الهلا» تنداحُ خمراً في دمي ،  
وتضئُ في وديانِ روحي  
أجمعُ النجماتِ ،  
ليلٌ يستحمُّ بوجدِها ،  
ومرابعُ تعرى ..  
وحيي غيمةٌ ذُبلتُ  
على عينيَّ نذرُ إنْ أتيتَ تعطرُّ الواحاتِ ،  
تهجرُ حزنَها وتبوحُ بالريحانِ ،  
لا تذهبُ ..  
على الأشجارِ تومضُ نسمةٌ ،

وتشبُّ في الليل الحرائقُ  
يا صباحاتِ الندى ونسائمِ الأفراحِ ،  
يا شجرَ المنى .  
من أين أقبلتِ الشمسُ تهزُّ مهدَ الكونِ  
عنقودُ الدموعِ الخضرِ إذ يهمني على كتفك  
شلالٌ ينثُ ،  
وزهرةٌ تدمي  
وأروقةٌ تفتحُ للغمامِ بابها ،  
وتغيبُ .  
عبرَ خطاكِ غاباتٌ من الحناءِ تنثرُ عطرَها ،  
وتفوحُ أوديةُ العراقِ ،  
أيا عراقَ الروحِ أنتَ ،  
ونبضهُ وهواهُ ،  
والقمرَ المكابرَ في سماهُ  
أيا عراقَ الروحِ ضمُّ إليكِ غاباتِ العراقِ ،  
وليلهُ .  
وهوأيَ عبرَ صباهُ .

ضُمَّ إِلَيْكَ طَيْرًا صَادِيًّا فِي الْقَلْبِ ،  
يَهْجُرُ مَاءَهُ وَيَهِيمُ ،  
تُرْدِيهِ الْيُنَابِيعُ الْبَعِيدَةُ  
تَسْتَبِيحُهُ وَمِضَّةُ الصَّحْرَاءِ  
يَلْهَثُ فِي دِيَاغِرِهَا ،  
يَقْطُرُ رَمَلَهَا ،  
وَيَهْزُ فِيهِ نَدَى الْجُدُورِ ،  
فَخَذَهُ ،  
خَذَهُ إِلَيْكَ ،  
هَدَيْتُ رَوْعَهُ  
وَأَمْنَحُهُ خَيْطَ الضُّوْءِ فِي لُجْجِ الظَّلَامِ ،  
وَلَا تَعَاتَبْ !

## السفر

غريبانِ قلبي ووجهك  
إنَّ عشياتِ ليلي تُسائلُ عن سامريها  
يمزقُ كفي الرصاصُ ،  
وأرفعُ رايتك ،  
الشمسُ يطفئُها الحزنُ ،  
صار الدمُ المستباحُ وليداً يُجرِّحُه الحلمُ ،  
وجهي يسقطُ في عنفوانِ الحريقِ .

.....

وما كنتَ أجملَ من لوحةٍ في السماءِ  
يخطُّها عاشقٌ ماتَ صبراً  
ولكنَّ وجهكَ كانَ وما زالَ . . .  
يحتلُّ قلبي  
ووجهكَ كانَ يفجرُ شوقَ البنفسجِ

في عنفوانِ الزمانِ  
تدورُ الروابي  
وتحكي لكلِّ الغصونِ عن  
الوطنِ المستفيقِ بجرحي .

.....

وما كنتُ أعلمُ أنَّ جفاكَ سيُشعلُ عمري  
ولكنني حينَ رُحْتَ ،  
وجدتُ السماءَ تُساقطُ أشطاءها ،  
والغصونَ تفتتُ أزهارها  
والملاعبَ تعرى  
ويهجرها الصبيةُ الأشقياءُ . .  
ولم أكنُ أملكُ في أنْ تجيءَ ،  
وَألاَّ تجيءَ  
لأنَّكَ كنتَ بعُمقِ جراحي  
تفتحُ فيه شموساً وتزرعُ نهراً  
وما كنتُ أعلمُ أنَّ الأغانيَّ والوردَ  
والفرحَ الطفلَ ملكُ جبينك

حتى رحلت ،  
وجاء العذاب .

.....

احبك .

كيف يصيرُ دمي جدولاً

إذ تصيرُ عيونك حقلاً

وكيف يصيرُ الرصاصُ سنابلَ

إذ توجوني عروساً لديكَ

سقطتُ وأشهدتُ حبكَ

كان الهوى قدراً

والشهادةُ عهداً

وكنتَ تسرحُ شعرَ بلادي

وترشقُ شطَّ المحيطِ بماءِ الخليجِ

وكنتَ جميلاً

ولكنَّ حبكَ - أعجبُ - كيف يعلقمُ قلبيَ

يا زمناً حاضراً غائباً

إنَّ لونَ السماءِ أسيرُ



وقلبي أسيرٌ  
وكلُّ الحماماتِ أسرى  
وأقسمُ إنِّي سأكسرُ كلَّ المرايا  
ليبقى الجدارُ شهيداً  
تكحلتُ فجراً  
ولكنَّهم علَّقوا العابرينَ على جذعِ نخلٍ  
أقولُ لعينكَ :  
كيف يصيرُ النخيلُ مشانقَ ؟  
ليلاً بكتُ نخلةً وتهاوتُ  
ولكنَّ وجهكَ عادَ ،  
وعدتُ أضمتُكَ ثانيةً  
إنَّ ليلَ العذابِ طويلٌ ،  
وكفكُ فوقَ جبيني تندی  
وقلبي يزرعهُ الحلمُ  
يا وطناً حاضراً غائباً  
إنَّ كلَّ الحقولِ تُساقطُ فُلاً  
وكلَّ العصافيرِ تنسابُ مُترعةً بالغناءِ

ووجهك هذا الذي يسكن الحلمَ  
يحتلُّ وجهَ السماءِ ،  
ويُمطرُ أشرعةً ..  
يا صبايا النخيلِ اغتسلنَ ...  
مياهُ الفراتِ تفجّرُ صمتَ الجذورِ  
ويُرعدُّها الشوقُ  
ها هي تأتي إلينا  
وها أنتَ تحملُ قنديلَ حُبِّي  
وتُشرعُ بالسفرِ المستحيلِ .

## الحلم

تصيرين رمزاً يفتّحُ كلَّ الخلايا  
وجسراً ليُعبَرَ كلُّ الجنودِ ...  
تعبتُ من الحُلْمِ  
صارَ الرحيلُ إليك ضياعاً  
وصرتُ أحاورُ نخلَ الجزيرةِ  
عن ثمرِ أشتريةِ ،  
ويرفضُ بيعي  
وعن رُطبٍ لا يُساومُ وخزَ الرياحِ ،  
أيا نخلةً في الحجازِ أجيبني  
إذا انحسرَ النخلُ قامتُ سكاكينُ خيبرِ ،  
ما بينَ قلبي وبينك عَتَبٌ طويلُ

\*

تُطَلِّينَ مِثْلَ مِيَاهِ الْجُدَاوِلِ تَحْتَ الضِّيَاءِ  
تُطَلِّينَ عَذْبُ مُحْيَاكِ  
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُسْتَحِيلُ  
تُطَلِّينَ لَا كَانَ مَرُّ الْجَفَاءِ  
إِذَا أَنْتِ أَسَدَلْتِ شَعْرَكَ  
تَحْتَ قَنَادِيلِ لَيْلٍ بَلِيلٍ . .  
تُطَلِّينَ .

أَغْرَسُ كَفِّي بِهَذَا التَّرَابِ  
فِيَطْلُعُ حَقْلٌ مِنَ الْوَرْدِ  
حَقْلٌ مِنَ الْحَزَنِ ،  
حَقْلٌ مِنَ الشَّجَرِ الْمُسْتَفِيْقِ كَغَزْلَانِ نَجْدِ  
تُطَلِّينَ .

يَنْهَمُرُ الْمَطْرُ الْغَضُّ  
يَزْدَهَرُ الشَّهْدَاءُ بِحُلَّةِ جَنَاتِهِمْ  
تَتَشَهَّى الْمَلَائِكَةُ الْأَرْضَ  
مُقْبِلَةً أَنْتِ مِنْ كُوَّةِ  
وَالرِّيَاضُ تُدْمِي بَلِيلِ ثَقِيلٍ .

.....

.....

شهدتُ انحسارَ العُزاةِ  
عُدَاةَ زرعَتِ شهيدكِ في شرفةِ الشمسِ  
يا أُمَّةً تعبَتُ بالهوى والعذابِ  
وما تعبَ الراحلونُ ..

.....

أأنتِ أميرةٌ حبي؟  
اختبأتُ بعينيكِ فرَّ المداجونَ  
وانحسرَ الموجُ ،  
صارَ الأُحيدبُ في سفحِ بيروتَ ملحمةً  
والردي للرجالِ  
تموتُ النساءُ ولكنَّ بصمتٍ  
وتُدفنُ لكنَّ بليلٍ  
وتحلُمُ كلَّ الزمانِ باكليلٍ وردٍ  
ويرفضُ رهطُ القبيلةِ ،  
يرفضُ باسمِ الرجالِ !..

.....

دمٌ في فمي  
وسؤالٌ يُحاورُ صمتَ العشيرةِ  
كيفَ تصيرينَ معبودَةً في الخفاءِ  
وموؤودةً في العراءِ  
ويَسكتُ كلُّ الدعاةِ  
إذا جئتُ باسمكِ أفتحُ جرحي  
وباسمكِ أُعلنُ عصرَ التوافقِ  
بينَ الندى والحِرابِ  
تعالِي .

مُمضٌ هو الجرحُ  
لكنَّهُ الحلمُ يطلُّعُ مثلَ الصبايا معافىً  
ليوقظَ نبضَ الجذورِ  
ويغتسلَ البحرُ باللهبِ المتلظي  
ليطلُّعَ فجرٌ جديدٌ . . .